سجين .. أم نزيل

في البداية يجب الاعتراف بأن الصورة النمطية الراسخة في أذهان معظم الناس عن السجون حول العالم هي أنها بؤر للعذاب والعقاب وسلب الحريات، ولذا، يرى البعض أن محاولة تجميل منظر السجن في عيون الناس بأية طريقة ما هي إلا شهادة زور.

ولكن إذا قررنا بأن السجن ليس جهة قضائية وإنما هو جهة تنفيذية لما صدر من أحكام قضائية، وإذا قررنا كذلك أن السجن غير مسؤول عن العدل أو الظلم في تلك الأحكام، وإذا اتفقنا بأن السجن ضرورة ملحة للتحفّظ على المجرمين والمعتدين، واستصلاح الجانحين، حمايةً للمجتمع وتحقيقاً لمبدأ العدالة، فإن الذهن سينتقل نحو أبعاد إنسانية أعمق في محاكمته للسجن، تتمثل في النظر إلى (المعاملة) التي يتلقاها السجين، وفي (مواصفات المكان) الذي يقضي فيه محكوميته.

ومن هذه الزاوية سأقبل أن أكون شاهداً بما رأيت وسمعت خلال زيارتي لإصلاحية جدة تحديداً، وفقط، ضمن مجموعة من الكتاب والإعلاميين بدعوة كريمة من المديرية العامة للسجون.

أولاً : المكان :

رغم الوجع الذي ينتاب أي زائر للسجن والتعاطف الإنساني الطبيعي مع الذين زلت بهم أقدامهم، وأتت بهم إلى هذا المكان، إلا أنني شعرت بالفخر بوطني، الذي أنشأ هذا الصرح العملاق وهيأ فيه كل سبل الحياة الكريمة (للسجين)، وأن كونه سجيناً لا يعني حرمانه من العيش بكرامة، لقد وجدنا في هذا المكان المدارس

obeikandl.com

والمكتبات والملاعب والحدائق، والصالات المختلفة لأغراض شتى، والمزارع والورش والمعامل، والعيادات الطبية، والبقالات والمطاعم، والأجنحة الفاخرة للزيارات العائلية، ومجموعات الإيواء، والمهاجع النظيفة المرتبة، وجميعها وفق أعلى وأفضل المواصفات، ولولا الجدران العالية والأسلاك الشائكة التي تذكرنا بالسجن لقلت إننا نتجول في منتجع من فئة النجوم الخمس.

يقول أحد زملاء الرحلة: إذا أردت أن تحكم على إنسانية الدول فانظر إلى سجونها، وقد شعرت وأنا أتنقل في هذا الصرح بإنسانية وطني، وهذا مبعث الفخر والاعتزاز.

ثانياً: المعاملة:

لقد حرصت كغيري على الانفراد بالنزلاء وسؤالهم عن المعاملة التي يتلقونها داخل السجن، وصادف أيضاً أنني قابلت أحد المعارف مسجوناً هناك في دين، نسأل الله أن يخلصه عنه وعن جميع المديونين، فأكد لي هو وغيره على أنهم يلقون أفضل المعاملة من قبل إدارة السجن وأفراد الحراسات، وأن المجال مفتوح أمامهم لممارسة أنشطتهم وهواياتهم والاستفادة الكاملة من مرافق السجن المتعددة، بالإضافة إلى ما تقدمه إدارة السجن من مناشط مختلفة بشكل دوري، وما تقوم به من مساعي للتعاون مع الجهات المختصة لقضاء الديون عن المساجين ورعاية أسرهم، وما يلقونه من تشجيع لمواصلة دراساتهم العليا، أو تعلم إحدى الحرف التي تتيحها مرافق السجن.

وقبل أن أختم، بودي أن أعرج على بعض النقاط المهمة التي أرى ضرورتها، وبعضها كانت من ضمن أفكار زملائنا في الرحلة، ومنها :

١- استبدال كلمة سجن بكلمة إصلاحية على مستوى المملكة وتغيير مسمى المديرية العامة للسجون وفق ذلك.

٢- استخدام كلمة نزيل بدلاً من كلمة سجين، حيث إن الأولى أخف وقعاً على السجين وعائلته.

٣- تفعيل الأحكام القضائية البديلة خاصة في بعض الجنح البسيطة التي لا ترقى للجريمة، وهذه خاصة بالقضاء.

٤- استخدام الأساور الأمنية وتحديد نطاق لحركة المحكومين في بعض القضايا بدلاً من سجنهم، خاصة أصحاب الدين الناتج عن سوء تدبير وليس عن سوء قصد، وإتاحة الفرصة لهم للتحرك والعمل وقضاء مديونياتهم.

٥- التفاهم مع الجهات الحكومية والأهلية على إيجاد صيغة مناسبة لدعم السجين المتدرب على حرفة مادياً ومعنوياً بعد خروجه مباشرة، وتخفيف الشروط الحالية على من أراد إنشاء مشروعه الخاص، وخصوصاً شرط الكفيل الذي يصعب على من كان في السجن إيجاده بسهوله، واستبدال ذلك بضمانة المشروع نفسه، والإشراف المباشر والمكثف من قبل الجهة الداعمة.

٦- ترحيل الأجانب المحكومين لقضاء فترة سجنهم في بلدانهم وقريباً من أهلهم، بدلاً من تحمل الدولة نفقات بقائهم.

٧- التعاقد مع شركات، أو إنشاء مصانع مركزية لتدوير النفايات، خاصة ما يستخدم من أدوات لحفظ وتقديم الوجبات الغذائية والاستهلاكية التي تقدر بالملايين على مستوى المملكة يومياً، مما يخفف النفقات ويحقق الاكتفاء الذاتي من تلك الأدوات.

٨- إتاحة الزيارة الإلكترونية للسجين المطبقة حالياً في إصلاحية بريمان بشكل أوسع بحيث يكتفى بمراقبة السجين وتسجيل أحداث الزيارة، مما يتيح للعائلات والأطفال وكبار السن والذين يسكنون مدناً أخرى زيارة من يريدون وهم في مواقعهم.

٩- تعميم تجربة إصلاحية جدة من حيث المباني والمرافق وأساليب التفتيش الإلكترونية وغيرها، ومن حيث فريق العمل وأسلوب التعامل على جميع سجون المملكة العربية السعودية.

١٠- تغيير الصورة الذهنية النمطية عن السجون، وتحسين سمعتها عبر

إصلاح الخلل، واختيار العناصر المناسبة من ناحية، وعبر التواصل مع المجتمع والمشاركة في الفعاليات المختلفة.

وأخيراً، فإنني أقدم شكري وتقديري لوزارة الداخلية وللمديرية العامة للسجون ممثلة في إدارة سجون جدة وإدارة إصلاحيتي جدة وبريمان وإدارة العلاقات العامة والإعلام على إتاحة الفرصة لنا للاطلاع عن كثب على ما يقدم من جهود تطويرية رائعة للإصلاحيات في وطننا الحبيب.

obeikandl.com